المجتمعات "عبر الوطنية" وتطور دراسات الهجرة الدولية

د. سليم دحه
أستاذ محاضر (ب)
بكلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي- الجزائر
Email slmdaha39@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/15 تاريخ القبول للنشر: 2019/07/24

ملخص:

تقدم هذه الورقة البحثية تفسيرات جديدة لحركية المهاجرين عبر الدول حيث تتبنى وجهة نظر العديد من الباحثين مثل: *Glik Skiller* و *Peggy livett* - والتي تعتبر شتات الهجرة مجتمعاً هجروياً عبر وطني *society Transnational* يجمع بين خصائص مجتمع الدول المرسلة للمهاجرين وخصائص الدول المستقبلة لهم. لقد أصبحت للمهاجرين حياة اجتماعية تتجاوز حدود الدول مع بقاء الحدود السياسية والثقافية قوية بين الدول مستفيدين من التطورات التكنولوجية في وسائل الاتصال التي أدت إلى انفتاح المجتمعات على بعضها مما أدى إلى إعادة تشكيل البنى الاجتماعية والعقائد والثقافات. من هنا برزت الدراسات عبر الوطنية لتناقش وتبحث وتصف الديناميكيات الجديدة على مستوى الهجرة الدولية.

يقدم المنظور عبر الوطني آليات ومداخل جديدة وفعالة لدراسة الهجرة الدولية تتناسب والمقترب أو المجال الذي يختاره الباحث، سواء كان هذا اجتماعياً مرتبطاً بالهوية أو البنى الاجتماعية وتفاعلاتها، أو سياسياً يبحث في تأثيرات المهاجرين على العملية السياسية، أو اقتصادياً يربط المجتمع عبر الوطني بالعوائد والمنافع الاقتصادية على الدول. السمة المميزة لهذا المنظور هي التحرر من ثنائية (محلي، دولي) والانفكاك من المقاربة الكلاسيكية الدولاتية المقيدة بدور الدولة الوطنية ومحوريتها في أي تحليل يسعى لفهم الهجرة الدولية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة الدولية، عبر الوطنية، الدراسات الأوربية.

Abstract:

This paper presents new interpretations of the mobility of migrants across countries. It takes the view of many researchers - including Glik Skiller and Peggy livett - that the diaspora is a transnational migration society that combines the characteristics of the community of sending and receiving countries. Migrants have become a social life that transcends borders, with political and cultural boundaries remaining strong, benefiting from

technological advances in communications that have opened societies to each other, reshaping social structures, creeds and cultures. Transnational studies have emerged to discuss, examine and describe new dynamics at the level of international migration.

The transnational perspective provides new and effective mechanisms and approaches to the study of international migration that are relevant to the approach or area chosen by the researcher, whether this is socially linked to social identity or structures and their interactions, or politically looking at the effects of migrants on the political process, or economically linking transnational society to economic returns and benefits. Countries. The hallmark of this perspective is freedom from duality (domestic, international) and the disintegration of the classical, statist approach to the role of the national state and its pivotal role in any analysis that seeks to understand international migration.

Key words: *International migration. Transnationalism. European studies.*

مقدمة:

مع مطلع خمسينيات القرن العشرين، أخذ البحث في الظواهر الاجتماعية والسياسية منحى جديداً يركز على تفسير الواقع والتنبؤ بالمستقبل. لقد انتقل الباحثون من التنظير لما يجب أن يكون إلى دراسة ما هو كائن، وفق منهج سلوكي يهدف إلى بلوغ أقصى درجة من العلمية في دراسة تلك الظواهر من خلال تحويلها إلى مؤشرات قابلة للقياس والابتعاد عن الأدلجة والالتزام بالموضوعية قدر الإمكان.

في نفس الفترة بدأ البحث في الهجرة الدولية من خلال التساؤل حول أسباب تغيير الفرد لمكان وأسلوب حياته، حيث ظهرت كتابات الباحث *Myrdal* حول أسباب الهجرة من الريف إلى المدينة، لتتطور الدراسات فيما بعد لتشمل الهجرة بين الدول مركزة على الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين بيئتي الإرسال والاستقبال، وخاصة التباين في الدخل الفردي والرغبة في تحسين مستويات العيش. يضاف إلى ذلك عدة متغيرات وسيطة كنشاط شبكات الهجرة التي تضم المستفيدين من ترحيل الأشخاص وكذلك المهاجرين الأوائل الذين يبثون ثقافة الهجرة في مجتمعاتهم الأصلية ويدفعون غيرهم إلى التعلق ببلد المهجر.

تعددت المدارس التي تعنى بتحليل الهجرة الدولية وتأثيراتها على مجتمعات الإرسال ومجتمعات الاستقبال، فالمختصون بالقانون على سبيل المثال جعلوا الدولة وحدة التحليل في دراساتهم ، ومن ثم ركزوا على السياسات التنظيمية من منح تأشيرات الدخول وتحديد مدة البقاء إلى سياسات المنع والترحيل. المختصون في علم الاجتماع ذهبوا إلى دراسة البنى الاجتماعية ووصلوا في دراساتهم إلى اعتبار مجتمع الإرسال ومجتمع الاستقبال ومجتمع المهاجرين وحدة واحدة لتحليل، في حين ركز النفسانيون على محفزات الهجرة لدى الفرد ومدى تمكن الرغبة في تغيير مكان العيش داخل جوارح المهاجر، ومن ثم الوصول إلى تعميمات تُمكن من ضبط العوامل المتحكمة في ظاهرة الهجرة.

مع مطلع القرن الواحد العشرين ، وسّعت الدراسات المعنية بتفسير الهجرة الدولية مجالات التفسير وذلك بتعدد وحدات التحليل حيث تم التطرق إلى المهاجر وأسرته ومجتمعه الأصلي ومجتمع الاستقبال، على خلاف المراحل السابقة التي جعلت الدراسات فيها الدولة الوحدة الوحيدة لتحليل وتفسير أسباب الهجرة من دولة إلى أخرى. ما يميز الدراسات الحالية التركيز على تحركات المهاجرين ونشاطهم أكثر من التركيز على دوافع هجرتهم وسبل إعادتهم إلى دولهم الأصلية.

لقد أصبحت مجتمعات الهجرة العابرة لحدود الدول واقعاً يجب على الفاعلين الدوليين التفاعل معه واستثماره وليس البحث في سبل التخلص منه. يرى العديد من الباحثين منهم *Peggy livett* من جامعة هارفارد و *Nadya orsky* من جامعة Yale أن نشاطات المهاجرين الحاليين بلورت العديد من الروابط والعلاقات بين مواطنهم الأصلية والدولة التي يتواجدون فيها، لقد أصبحت لهم حياة اجتماعية تتجاوز حدود الدول مع بقاء الحدود السياسية والثقافية قوية بين الدول ، هذا النوع من الهجرة يُنعت بالهجرة عبر الوطنية[1]. في حين أن التحليلات الكلاسيكية للهجرة انحصرت ضمن الإطار الدولاتي الوطني الذي كان يتجاهل المجتمعات الجديدة العابرة للحدود ،

لقد جعل الدولة وحدة التحليل وكل التفاعلات الاجتماعية يجب أن تتطابق مع الحدود السياسية والجغرافية لها2.

بناء على الأفكار الآنفة يمكن طرح السؤال التالي: إلى أي مدى ساهم تكون المجتمعات عبر الوطنية في تطور دراسات الهجرة الدولية؟

أولاً: الانتقال من الهجرة الدولية إلى المجتمعات عبر الوطنية

1-تعريف الهجرة الدولية

يشير مصطلح الهجرة عموماً إلى حركة تنقل الأشخاص من مكان إلى أخر بحثا عن حياة أفضل، أما الهجرة الدولية فمبنية على أساس تجاوز الحدود والانتقال من مجتمع إلى العيش في مجتمع آخر، ولا تنتهي الهجرة بنهاية الرحلة بل تتعداها إلى التفاعل مع بيئة الاستقبال مع الاحتفاظ بالعلاقة مع دولة الإرسال.

يرى جون كلارك أن المهاجر هو كل من جمع أمره على مغادرة الوطن دون نية الرجوع إليه إما بتاتا أو إلى أجل غير محدود[3]. أما إذا اقترن سفر المهاجر بنية العودة يوما وبشكل قوي أضحى هذا الشخص "مغتربا"، لذلك فلفظ مهاجر يحمل دلالات بنية العودة بدرجة أقل[4]. أما عند الباحثين الأجانب فيعبر عن الهجرة بثلاث مصطلحات متقاربة، فكلمة *Immigration* تعني التوطين وتستخدمها الدول المستقبلة للمهاجرين للدلالة على بقاء المهاجر غير الدائم فيها .أما مصطلح *Emigration* فتستخدمه الدول المرسلة للمهاجرين للدلالة على النزوح والارتحال ، بينما يحمل مصطلح *Migration* معنى الانتقال الطوعي الإيجابي وتستخدمه باقي الأطراف المعنية بالهجرة[5].

في الوقت الحالي تركز الدراسات المعنية بالهجرة على الروابط الاجتماعية التي ينسجها المهاجرون بين دولهم الأصلية والدول التي يقيمون فيها، من خلالها يتم تحليل

وتفسير التأثيرات والانعكاسات المختلفة التي يحدثها مجتمع الهجرة ، هذا المجتمع يتكون من مجموعة من الشبكات الاجتماعية تجعل من التفاعلات الاجتماعية تتجاوز حدود الدول.

بناءً على الأفكار السابقة يمكن تعريف الهجرة الدولية كالتالي: "الهجرة هي انتقال الأشخاص بين الدول بغرض العمل أو لممارسة أي نشاط اقتصادي أو وثقافي أو اجتماعي آخر ، وتتم بشكل دائم باستقرار المهاجر نهائيا في دولة الاستقبال أو بشكل مؤقت بعودَة المهاجر إلى موطنه الأصلي".

2- المجال الاجتماعي والمجتمع عبر الوطني

على الرغم من أن للدولة أهمية بالغة ترتكز على وظيفة الأمن وتوزيع القيم سلطوياً، إلا أن الحياة الاجتماعية لم تعد تتطابق مع حدود الدولة، فالحركات الدينية والعمليات الاقتصادية والشبكات المهنية يشمل نشاطها العديد من الدول. لم يعد بالإمكان دراسة التوجهات الاجتماعية من منظور دولاتي وطني، بل صار من الصعب الفصل بين المصالح الفردية والمصالح الكونية. لقد أدت التطورات التكنولوجية في وسائل الاتصال إلى انفتاح المجتمعات على بعضها مما أدى إلى إعادة تشكيل البنى الاجتماعية والعقائد والثقافات.

من هنا برزت الدراسات عبر الوطنية لتناقش وتبحث وتصف الديناميكيات الجديدة على مستوى الهجرة الدولية ، حيث ينسج المهاجرون الحاليون روابط عديدة بين بيئتي الاستقبال والإرسال، هذه الدراسات طورت أدوات منهجية جديدة لدراسة هذه الروابط (دينياً ، ثقافياً، اقتصاديا، سياسياً). بناء على هذا الطرح عرف الباحثان *Glick Shiller* و *Szantom Blanc* المجال الاجتماعي على أنه : "سلسلة من الشبكات والعلاقات الاجتماعية أين الأفكار والممارسات والمرجعيات تتبادل، تُنظم وتتحول"[6].

إن المجال عبر الوطني قائم على الجمع بين خصائص معينة في مجتمع الإرسال وخصائص أخرى في مجتمع الاستقبال، هذه الخصائص مجتمعة تمنح المهاجرين القدرة على التفاعل والحركة داخل هذا المجال ، وعليه يمكن أن نضع تعريفا مقبولا للمجال الاجتماعي عبر الوطني يتمثل في كونه: "ذلك الإطار من العلاقات والممارسات الاجتماعية الدائمة والمتطورة العابرة للحدود الوطنية والتي تكون مجتمعا هجروياً له خصائص ومميزات مختلفة عن مجتمع الإرسال ومجتمع الاستقبال".

ترى الباحثة *Glik Skiller* أن المجال الاجتماعي يضم الأفراد والمؤسسات والمنظمات والخبرات عبر مستويات متعددة، تخلق هذه المستويات أنواعا من الهويات داخل المجال الاجتماعي الواحد[7].

كما اقترح الباحث *Morawska* في سنة 2003 تعريف الهجرة على أنها (إعادة هيكلة ديناميكية المجتمعات)[8]. في حين سماها *Guarniz* في سنة 1997 و*laudlot* في سنة 2001 "التحولات الاجتماعية عبر الوطنية ". أما الباحثان *Sorensen* و*Fogolnig* في سنة 2002 فقد فضل تسمية الظاهرة "بالارتزاق عبر الوطني "، كل ذلك للدلالة على الروابط والعلاقات والتفاعلات التي يقيمها المهاجرون وأبناءهم بين بيئة الإرسال وبيئة الإستقبال[9].

يؤكد الباحث *Faist* في سنة 2002 أن التغيرات على مستوى الروابط المكانية والاستقرار المؤقت للمهاجرين يشكل طوبوغرافيات مختلفة[10]:

1. تشتت سريع : يحقق فيه المهاجرون اندماج ضعيف في بيئة الاستقبال وروابط قصيرة المدى.
2. تبادلات عبر وطنية للمنفعة: اندماج قوي للمهاجرين وروابط قصيرة المدى في بيئة الاستقبال.

3. شبكات عبر وطنية : يحقق فيها المهاجرون اندماج ضعيف لكن روابط طويلة المدى في بيئتي الاستقبال والإرسال.
4. مجتمعات عبر وطنية : يحقق فيها المهاجرون اندماج قوي في بيئتي الاستقبال والإرسال وروابط طويلة المدى طويلة المدى في بيئتي الاستقبال والإرسال.

يبني المهاجرون ضمن المجتمع عبر الوطني سبل وجودهم، وسبل انتمائهم بشكل مختلف. وتتعلق عادات وتقاليد الوجود بالممارسات والعلاقات التي يبنيها الفرد ضمن المجال الاجتماعي الذي يوجد فيه بالصدفة أو القدر الذي يتمثل عادة في مجتمعه الأصلي، مدى نجاح واستمرار هذه الممارسات والعلاقات يحدد مصير الفرد و احتمال بقاءه في ذلك المجال الاجتماعي أو مغادرته إلى مجال اجتماعي أخر. بينما تتعلق عادات وتقاليد انتماء الفرد بالممارسات والعلاقات الاجتماعية التي يقوم بها ضمن المجال الاجتماعي الذي يتوافق وعقيدته ومكونات هويته مما يجعل درجة الارتباط عالية بين الفرد ومجاله الاجتماعي.

ثانيا: مظاهر التحول إلى الدراسات عبر الوطنية في ميدان الهجرة الدولية

1- الهجرة عبر الوطنية

مع نهاية القرن العشرين، أضاف الباحثون في الهجرة الدولية منظورا ثالثا لتفسير حركية المهاجرين ضمن المجتمعات المستقبلة، فزيادة على خيار الاندماج في مجتمعات الاستقبال وكذلك خيار العيش كأقليات ضمنها، يذهب المنظور الجديد إلى التركيز على فكرة نشاط المهاجرين ضمن مكانين مختلفين مشكلين مجتمعاً جديداً يجمع بين الثقافتين ويوائم بينهما اقتصادياً، سياسياً ، دينياً مع الاحتفاظ بحق الدولة في مراقبة الحدود السياسية. من هؤلاء الباحثين *(Book 1991، Faist 2000، Glick Schiller 1992، Jacoby 2004، Kiristo 2001، Pessar1991 Grasmmk، Gmarmizo 1997 kyle، Smith 1998، Portes1999، Mahler 1998، Levit2001)*[11].

هذا الطرح واجه عدة انتقادات على مستوى التسمية، حيث أن المنتقدين تساءلوا كيف يميزون بين مفاهيم عديدة ومتقاربة كالعالمية *Global*، الدولية *International*، والعبر وطنية. كذلك يتداخل هذا المفهوم مع النصف محلية *bi-localism*، أو نصف الوطنية *bi-nationalism*، والأنشطة عبر الدولية *Trans-state activities*. من جهة أخرى فإن الروابط التي ينسجها المهاجرون عبر الوطنيون سرعان ما تنهار مع الأجيال الثانية (أبنائهم) ، بالإضافة إلى أن المفهوم ينطبق على مناطق بعينها دون أخرى كالولايات المتحدة مثلاً، بالتالي فالأنشطة عبر الوطنية بينها وباقي دول أمريكا اللاتينية جد منخفضة لا تتعدى 15 إلى 10% مع سالفادور والمكسيك ، يضاف إلى كل ذلك أن نظام الدولة الوطنية لا يزال قائما وبقوة هناك[12].

رد دعاة المنظور عبر الوطني بأن المجتمعات أصبحت أكثر انسيابية ومنفتحة على العالم بحكم التقدم التكنولوجي بالتالي فإن تدفقات الأفراد عبر الحدود هي نتيجة لتدفق الأفكار والقيم التي تسبق الهجرة حسب رأي *(Szamton و Glick shiller و Bask)*، بالتالي فالتواصل والرابط ليس حكرا على المهاجرين، بل هم جزء من فضاء عبر وطني تشترك فيه المجتمعات. ويتحرك المهاجرون ضمن هذا الفضاء الذي يأتي تدفق الأشخاص فيه بعد تدفق (السلع، الأموال، والتحويلات الاجتماعية، الأفكار، المعايير، الممارسات والهويات...). بالتالي يتساوى المهاجرون وغير المهاجرون ضمن هذا الفضاء. ضمن هذا المنظور يتم التركيز على الأنشطة والممارسات عبر الوطنية وليس مكان تواجد المهاجر، وينتج عنه حراك اجتماعي وثقافي وديني وسياسي عبر وطني.

يشير موضوع "عبر الوطنية" إلى جملة النشاطات الإنسانية والمؤسسات الاجتماعية العابرة للحدود، وحسب الباحثة *Eva Ostegaad* فإن الممارسات السياسية عبر الوطنية هي:" الأشكال المختلفة والمباشرة للمشاركات السياسية العابرة للحدود التي يقيمها المهاجرون واللاجئون ضمن سياسات دولهم الأصلية، ومشاركاتهم السياسية غير المباشرة في المؤسسات السياسية المتواجدة في الدول التي يهاجرون

إليها"[13]. أما *Andreea Laza* فقد عرّفت التفاعلات عبر الوطنية بأنها:" إجراءات تتم من طرف مهاجرين يربطون من خلالها مجتمعاتهم الأصلية بالمجتمعات التي يقيمون فيها"[14].

يقدم المنظور عبر الوطني في دراسة الهجرة الدولية مجالاً للتفسير يركز على تفاعلات الأفراد أكثر من تركيزه على المكان الذي يتواجدون فيه بخلاف الدراسات التي تركز على العولمة التي تستند على ثنائية (محلي/عالمي) وتأثيرات التفاعل العالمي على خصائص المجال المحلي، بالتالي تنصب أهداف الدراسات على المكان وليس الفرد[15].

بناء على ذلك يصبح المكان متغير ثانوي يضمن انسيابية تفاعلات الأفراد والثقافات والهويات وما ينتج عنها من تبلور لمجالات اجتماعية جديدة وتفكك مجالات اجتماعية قديمة.

في أوربا الغربية يتضح جلياً التوجه نحو دراسة الهجرة الدولية من منظور عبر وطني يركز على التفاعلات الاجتماعية العابرة للحدود التي يبنيها المهاجرون بين الدول الأوربية، وبينها والدول المرسلة للمهاجرين. ومنذ منتصف التسعينيات من القرن الماضي، أخذ الأوروبيون في تطبيق اتفاقية شينغن التي تسمح بالتنقل الحر للأفراد والسلع والخدمات بين دول الاتحاد الأوربي، ويخص هذا التنقل مواطني هذه الدول فقط. أما دول الجوار الأوربي فقد دخلت في مفاوضات لتنظيم الهجرة الوافدة لأوروبا، وكذلك لتقاسم المهام والمسؤوليات بين الدول المعنية بغية التحكم في حركية المهاجرين[16].

هذا التفاعل على أرض الواقع الذي تتجلى فيه البراغماتية الأوربية يرمي إلى تسخير المجال المكاني الأوربي للتكامل الأوربي المجتمعي عبر الوطني، كما تتيح الاتفاقيات الهجروية مع دول الجوار الأوربي المجال لتوسيع التفاعلات عبر الوطنية الآخذة في

النمو. هذه الخطوات الأوربية المتعلقة بتنظيم تلك التفاعلات تسعى لضمان دور الدولة الوطنية في مراقبة وتوجيه الانسيابية المجتمعية العابرة للحدود.

2- أفكار المدرسة الأوربية حول الهجرة عبر الوطنية

ركزت مدرسة مانشستر في بريطانيا مثلاً على الفرد في دراسة المجال الاجتماعي من حيث أن الفرد ينتمي إلى منطقته الريفية القبلية وينتمي في نفس الوقت إلى المدينة ، وبالتالي فشبكة العلاقات التي ينسجها المهاجر بين المنطقتين تشكل مجالا اجتماعياً عابراً للحدود الثقافية[17]. بينما استخدم الباحث الأنثروبولوجي الفرنسي *Bourdieu* مفهوم بني على القوة ، و حدود المجال الاجتماعي عنده انسيابية تتيح للمهاجرين التحرك بسهولة بين الدول، هذا المجال يوجد نفسه بنفسه حيث ينظم إليه الأفراد الذين لهم رغبة في تغيير مواقعهم الاجتماعية بالانتساب إلى مركز معين للقوة[18]. إذن المجتمع عند *Bourdieu* يتشكل من مجموعة من المجالات الاجتماعية المترابطة عبر أفراد ومؤسسات توجه وتنظم التفاعلات داخل المجتمع.

على المستوى الفردي، تبحث الدراسات الأوربية في الكشف عن سبب وجود نزعة عبر وطنية لدى أفراد معنيين وعدم وجودها لدى آخرين. تترجم تلك النزعة عبر سلوكيات تتجاوز الحدود، أيضاً يسعى الباحثون إلى فهم سبب وجود نزعات متعددة لدى بعض الأفراد كالنزعة الوطنية، وعبر الوطنية وحتى الكونية في آن واحد[19]، في حين يقتصر الأمر عند بعض الأفراد على نزعة وطنية محلية فقط. الصنف الأخير يعتبر المجال الاجتماعي الذي يعيش فيه قدره ولا يمكن أن يغيره، في حين يملك الآخرون رغبة ملحة في تغيير واقعهم. إذن المجال الاجتماعي غير مستقر يرتبط بحركة الأفراد داخله. الأفراد ذوي النزعة عبر الوطنية لهم القدرة على التكيف مع العديد من المجالات الاجتماعية المختلفة دون التخلي على عادات وتقاليد انتمائهم المرتبطة بالمجال الاجتماعي الذي يتوافق مع عقائدهم وهوياتهم.

المجتمعات عبر الوطنية موجودة تاريخياً ، فالكثير من الدول غير الصناعية حققت طفرة اقتصادية بفضل تحويلات المهاجرين ، كالمجر ، إيطاليا ، اليونان ، كوريا ، الصين، ويعود ذلك إلى تجذر الخصوصية والتميز عن مجتمعات الاستقبال فاللغات المحلية وحتى السمات الخلقية لمواطني شرق آسيا المتواجدون في أمريكا (القارة الأمريكية)حالت دون الاندماج التام للمهاجرين هناك، مما جعلهم يعتمدون استراتيجيات عبر وطنية.

حسب الباحثين *Smith* و*Shiller*، فإن النشاطات عبر الوطنية لا يمكن أن تكون هي مركز حياة الأجيال الثانية أو الثالثة، لكن نفس الأجيال التي قد تعودت على التفاعل في بيئة الإرسال سوف تتفاعل مع القيم والعادات والمورثات القادمة من مجتمعات مختلفة. فالتحويلات الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد والثقافات يتلقاها جميع أفراد المجتمع بالتالي فقيم المجتمع عبر الوطني لا ينقلها فقط الجيل الأول من المهاجرين[20]. في النهاية لا يمكن أن يكون هناك مجتمع إرسال صرف أو مجتمع استقبال صرف، فكل المجتمعات مرسلة للقيم عبر الوطنية وتتلقى قيما أخرى عابرة للحدود.

فيما يخص استمرار بقاء الدولة الوطنية وحدودها: (عسكرياً، اقتصادياً، سلطوياً...) فالدولة من أهم فواعل تشكيل البعد عبر الوطني لكونها أحد أطراف العلاقة الهجروية وأحد المستفيدين من تحويلات المهاجرين، بالتالي فمعارضتها لتشكل الفضاء عبر الوطني مرهونة بمدى استفادتها منه من عدمها .

ثالثا: مضامين الدراسات عبر الوطنية المتعلقة بالهجرة الدولية

على المستوى التطبيق، تضمنت الدراسات عبر الوطنية أربع ميادين رئيسية انصب اهتمام الباحثين عليها هي:

1- المضمون الاقتصادي:

نظرت بعض المدارس إلى الهجرة عبر الوطنية على أنها وجه جديد للرأسمالية أين توجد مجموعة واسعة من الدول الصناعية بحاجة للعمالة الرخيصة ، ومجموعة محدودة من الدول غير الصناعية تعتمد على التحويلات المهاجرين في اقتصادها، في حين رأت الباحثة *(Basch 1994)* أن استمرارية المجال الاجتماعي عبر الوطني في الوجود يعود إلى اعتباره أحد أوجه العولمة الاقتصادية بالنظر إلى إحصائيات البنك الدولي، حيث أن تحويلات المهاجرين المالية في السنوات الأولى من القرن الحالي جد مرتفعة، منها 232 بليون دولار في سنة 2005 لوحدها .167 بليون من هذه التحويلات ترسل نحو الدول المتقدمة .

وحجم المبادلات أي التحويلات والتحويلات المعاكسة يتراوح ما بين 300 إلى 400 بليون دولار سنويا[21]، هذه الأموال يتم تشغيلها انفراديا وكذلك على المستوى الرسمي في دعم الأسواق وفي إنشاء مشاريع تنموية من طرف الدولة. في المكسيك مثلا بلغت تحويلات المهاجرين إليها 100 بليون دولار لسنة 2017 تشترك المنظمات غير الحكومية والجمعيات الجهوية في استثمار تحويلات المهاجرين القادمة من الولايات المتحدة والتي تعادل 60 مليون دولار سنويا.

أما في الهند فتبلغ قيمة تحويلات المهاجرين إليها 696 بليون دولار وتمثل 0.3% من الدخل القومي الإجمالي لسنة 2017 لوحدها[22]، كما تقدم الحكومة لغير الهنديين فرص بنكية بالدولار الأمريكي أو الجنيه الإسترليني لإنشاء مشاريع بضرائب منخفضة جدا مما جعلها تستقبل 10 بليون دولار سنويا كاستثمارات للمهاجرين[23] .

الأنشطة الاقتصادية ضمن المجتمع الهجروي عبر الوطني تتوزع على طبقات متعددة هي:

- طبقة ذات مهنية وتقنية عالية كما في سيليكون فالي مدينة العلوم الأمريكية ، أين تتركز استثمارات المهاجرين ذوي المستويات العلمية العالية.

- طبقة التجار الذين يتاجرون في التحف والمقتنيات النادرة وحتى الآثار المجلوبة من أفريقيا وآسيا.

- طبقة أسفل الهرم والتي تضم مهاجري الأرياف القادمين للعمل في القطاعات الدنيا ويساهمون كمستهلكين للسلع.

هناك 40% من العمالة المهاجرة تتحرك ضمن الدول المتقدمة خصوصا في آسيا، ويمكن أن نحدد أربعة أنواع لتدفقات العمالة عبر الوطنية[24]:

1) طبقة التجار عبر الوطنية وتضم نخب من الكفاءات والمهن وأصحاب رؤوس الأموال
2) طبقة المهاجرين قليلي الكفاءات والعاملين في الأنشطة الحضارية المختلفة.
3) طبقة المتخصصين في الأنشطة الثقافية والفنية المختلفة.
4) طبقة السياح المولعين بالمدن العالمية.

تعمل الأنشطة الاقتصادية على توسعة الوحدات الاجتماعية المبنية على أساس اثني للتجاوز الحدود الدولية، وتجعل من الأجيال التالية عبر وطنية، كما أن بعض الإثنيات داخل الدول تنشئ مؤسسات اقتصادية داعمة تتوسع لأجل جلب مداخيل وتسويق المنتجات مستفيدة من الشبكات الهجروية العابرة للحدود مما يجعل من النشاط الاقتصادي الركيزة الأساسية لتوسيع المجتمع عبر الوطني. كذلك فإن مستوى التحرك الفردي يؤدي إلى نتائج على مستوى التحرك الكلي من خلال تطوير مشروع الهجرة إلى مؤسسات اقتصادية عبر وطنية.

2- المضمون السياسي:

ركزت الدراسات عبر الوطنية للهجرة على المشاركة الانتخابية للمهاجرين (ترشح ، انتخاب) و الانضمام إلى الجمعيات وأحزاب سياسية في دول مختلفة.

الباحث *(Qstergaard-Nielsen في 2003)* خصص ثلاث مجالات على المستوى السياسي ينشط فيها المهاجرون عبر الوطنيون[25]:

- المجال المحلي: يتضمن أنشطة المهاجر السياسية في دولة الأصل كالانتخاب والترشح في المجال المحلي والوطني. وهناك من المهاجرين من يوظف المكانة المتحصل عليها في دولة الأصل لدعم قضايا عبر وطنية (الأكراد مثلاً يدعمون قضيتهم ضمن المجالس التركية والعراقية)

- المجال الذي في بلد المهجر: يتضمن السياسات والأنشطة السياسية التي يمارسها المهاجرون الدائمون ضمن بيئة الاستقبال لدعم دول الإرسال، كالدور الذي يلعبه المهاجرون الأتراك في ألمانيا ، لكن ليس كل أنشطة المهاجرين السياسية عبر الوطنية. كذلك بعض اللوبيات والمجموعات في دول الاستقبال تشكل جسور عبر وطنية لدعم الدول الأصلية (كاللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية)

- المجال عبر المحلي: تختلف عن الصنفين السابقين في كونها تبدأ اقتصاديا لدعم أسر المهاجرين مثلا ، ثم تحول إلى أنشطة سياسية عندما تشجعها أو تعارضها الدول المعنية.

التحرك السياسي عبر الوطني محدد بحقوق ومسؤوليات في العادة تضمن هيبة الدولة المرسلة وكذلك الدولة المستقبلة. لذلك الباحث قدم *"Bloomraed"* في 2004 تصنيفا للمواطنة المزدوجة أو المواطنة عبر الوطنية[26]:

أ- المواطنة المتزامنة: أين يتحرك الفرد في مجتمعين مختلفين أو أكثر لكن دون أن ينتج عن هذا التحرك بعد عبر وطني واضح بأن يتشكل مجتمع عابر للحدود، حيث تبقى العملية محصورة في إطار فردي.

ب- مواطنة استيعابية: تشكل ازدواجية الانتماء مجموعات ووحدات اجتماعية عبر وطنية. هذه المجموعات تكون المجتمع عبر الوطني الذي يتمتع أفراده بخصائص مشتركة.
ج- مواطنة تكاملية: يكون فيها تفاعل المهاجرين أفقي عبر حدود الدول وتفاعل عمودي عبر الطبقات التي تشكل المجتمع الهجروي.

تنتج ازدواجية المواطنة عن جدلية عدم القدرة على قطع الصلة بالوطن الأم وكذلك القبول الشكلي للأجانب من طرف دول الاستقبال دون الاطمئنان نهائيا لانتمائهم. مما يجعل المجتمع عبر الوطني خاضع لعملية الاستقطاب والتوظيف من كلا الجهتين.

3- المضمون الاجتماعي:

ركزت الدراسات عبر الوطنية حول المجال الاجتماعي من حيث التحولات الحاصلة على مستوى هيكل الأسرة ، الطبقة ، الجنوسة ، العرق. تساءل الباحثون حول كيفية تغير خصائص الأسر عبر الوطنية وتحول نمط العلاقات بينها وبين الأسر المحلية في دول الاستقبال. الدافع في تشكل العلاقات عبر الوطنية لدى الأسر المهاجرة هو رغبتها في إقامة علاقات اجتماعية، مما يدفعها إلى التواصل مع بيئتها المحلية وكذلك البيئة الموجودة في دول الأصل[27].

أيضا الشبكات الاجتماعية عبر الوطنية الناتجة عن القرابة والنسب تضع الأسرة في مقدمة استراتيجياتها (الزواج، الضم الأسري بعد الهجرة...). أصبحت حدود الأسرة والقرابة تتجاوز حدود الدول اعتماداً على فكرة الانتشار، حيث يقوم الآباء بنقل عاداتهم وتوجهاتهم المختلفة إلى الأجيال الجديدة عبر أكثر من دولة .

ففي المجتمعات الغربية مفهوم الأسرة والأمومة مختلف عنه في مجتمع الإرسال أو المجتمع عبر الوطني ، أصبح مجتمع الاستقبال متأثرا بالقيم القادمة من دول الجنوب ذات الخصائص الدينية والثقافية المختلفة (النظر للجنوسة ، للأم ، للزواج ...) مما أدى إلى

التوجه نحو إعادة تشكيل المعايير والثوابت المحلية لديه. من أهم هذه المعايير تشكل ترتيب هرمي بين الرجل والمرأة كما في بيئة الإرسال على عكس بيئة الاستقبال أين تتساوى المرأة والرجل في الحقوق والواجبات، هذا الأمر أدى إلى تشكل مجال جديد للدراسة يتمثل في الدراسات النسوية للهجرة.

خاتمة

تبلور المنظور عبر الوطني في دراسة الهجرة الدولية مع تسارع التحولات التي تشهدها حركية المهاجرين عبر الدول حيث عملت التطورات في ميدان التكنولوجيا ووسائل الاتصال والتواصل بين المجتمعات على تسهيل عمليات تبادل الثقافات ومن ثم حرية التنقل بين الدول. لقد تحولت المجتمعات الهجروية إلى فضاءات انسيابية تتجاوز حدود الدول ثقافياً واقتصادياً وتمتاز بخصائص تجمع بين بيئة الإرسال وبيئة الاستقبال. تتحرك المجتمعات عبر الوطنية عبر أقاليم الدول الوطنية وتساهم في تنمية تلك الدول وفي التفاعلات السياسية والاجتماعية.

يقدم المنظور عبر الوطني آليات ومداخل جديدة وفعالة لدراسة الهجرة الدولية تتناسب والمقترب أو المجال الذي يختاره الباحث، سواء كان هذا اجتماعياً مرتبطاً بالهوية أو البنى الاجتماعية وتفاعلاتها، أو سياسياً يبحث في تأثيرات المهاجرين على العملية السياسية، أو اقتصادياً يربط المجتمع عبر الوطني بالعوائد والمنافع الاقتصادية على الدول. السمة المميزة لهذا المنظور هي التحرر من ثنائية (محلي، دولي) والانفكاك من المقاربة الكلاسيكية الدولاتية المقيدة بدور الدولة الوطنية ومحوريتها في أي تحليل يسعى لفهم الهجرة الدولية.

لم تعد الهجرة الدولية رحلة انطلاق ووصول، ولا يمكن حصرها في أفعال فردية أو لجماعات قليلة يمكن أن تهدد حدود الدول. لقد تراجعت أهمية الحدود في مقابل الانفتاح على البيئة الدولية والاستفادة من الثروة العالمية وتسويق السلع والأفكار المحلية بغية المساهمة في الاقتصاد العالمي. دفعت هذه الحقائق الباحثين في

الهجرة الدولية إلى تطوير مفاهيمهم وأدوات البحث خاصتهم في سبيل تقديم تفسيرات علمية منطقية وحديثة لتحركات وتوجهات المجتمعات عبر الوطنية.

الهوامش:

1 Peggy livett and Nady OrSky. international migration studies.past development and future trends.Yale university. Forthcoming 2007 .p21.

2 Andrea Lazar. Transnational migration studies.reframing sociological imagination searsh. Romania:journal of comparative research anthropology and sociology. vol2. 2011. p10.

3 جون كلارك .ترجمة (أحمد شوقي وإبراهيم زكي) .جغرافيا السكان .الرياض :دار المريخ .1984 .ص 203.

4 إنشراح الشال ، المغترب ووسائل الإتصال .القاهرة : دار الفكر.1987 .ص 56.

5 Migration.N Ibide.p50.ewencyclapedia Britamic .Chicago:1983.vol. 1851.

6 Glick shiller. Towards transnational prespective of migration: race. Class. Etenicity. And nationalism reconsidred. New York: Academy of sciences.1999.p48.

7 Ibide.p50.

8 Morawska Evi .immigrants transnationalism and assimilation.A variety of combinations and analytic strategy it suggestes. In: toword assimulation and citizenship: immigrant in liberal nation state. England: 2003.pp99-133.

9 Ibidem.

10 Faist T. transnationalisation in international migration: implication of the study citizenship and culture. Oxford university. 2002. pp189-222.

11 Peggy Levitt and Nadia Jaworky. international migration studies . Op cit.p30.

12 Walddiner . transnationalism in question.2004.p109.

13 Rainer Bubock, Towards political theory of migrant transnationalism. Vienna: Austrian Academy of sciences. The center for migration studies. 2003. P71.

14 Andreea Lazar, Opcit. p70.

15 Derga Ozkul, transnational migration research. Australia: University of Sydney. 2012.p2

16 Irene schofbrger, migration: solid nation and liquid transnationalism? The EU's struggle to find a shared course on African migration 1999-2019. Bonn: German development institute.2019. p3.

17 Walddiner. transnationalism in question. 2004. p109.

18 Ibid.p12.

19 Ibid. P49

20 Glick shiller. Op cit. P 212.

21 Morawska Evi. Op cit. p 138.

22 World Bank, data and analysis on migration and remittances. April 2018. www.worldbank.org/migration

23 Morawska Evi. Op cit. p 138.

24 Andreea Lazar. Op cit. P13.

25 Morawska Evi. Op cit. p 142.

26 Ibid. p 146.
27 Andreea Lazar. Op cit.p23.